د. محمد ياغي *

الحرب الناعمة وإشكالية الممانعة

شهد مفهوم " الحرب الناعمة " (Soft War) ، أو " القوة الناعمة " (Soft Force) ، تألقا" في نهاية القرن الفائت ، وأصبح موضع اهتمام أكاديميين ودوائر سياسية وأمنية وعسكرية وإستراتيجية عدة ، وبصورة خاصة في الولايات المتحدة الأميركية التي أنتج مفكروها فلسفة المفهوم بأبعاده المختلفة . ومفهوم الحرب الناعمة لم يدخل حيز التداول في البلدان العربية والإسلامية إلا مؤخرا" ، وبمستوى من الفهم الخجول ، المختصر على بعض النخب التي تهتم بالدراسات الإستراتيجية ، أو لدى جهات إقليمية تدرك مدى خطورة أنشطة وبرامج الحرب الناعمة التي تظهر تجلياتها على الشبكة الإلكترونية ، وفي فهارس محتويات المحرك الدولي للمعلومات (Google) ، بأثواب مختلفة ، تتيح تلمس المظاهر الأولية لأوجه صراع خفي تستخدم فيه أدوات وآليات غير مألوفة في المواجهات الحربية المباشرة ، أو في الحروب الصلبة الظاهرة للعيان . فمن يتصفح بدقة صفحات الشبكة المتعلقة بالموضوع المعالج ، يمكنه ومن منحى نقدي – مقارن ، أن يلاحظ مشاهد عدة ، أبرزها : مشهد الغياب الصريح للاستعدادات والإرشادات التوعوية العربية الرسمية في مواجهة تداعيات ومخاطر الحرب المقصودة على مستقبل تحولات الصراع العربي - الإسرائيلي . إضافة إلى بروز مشهد آخر لافت يظهر كيفية ظهور الحضور الإسرائيلي من خلال جملة مواقع ، منها ما يروج أن فكرة الحرب الناعمة من ناحية المفهوم ، إنما تعود إلى المجتمعات العربية والإسلامية التي تكن العداء البالغ لدولة إسرائيل . وفي مواقع الكترونية عدة ، تشير " البروباغاندا " الإسرائيلية إلى تورط بعض البلدان الأوروبية أيضا" بتشويه سمعة إسرائيل دوليا" ، تحت عنوان معاداة السامية ، وقد وثق ذلك في تقرير " مؤتمر هرزليا العاشر " ، الذي عقد في العام 2010 ، والذي أطلق توصيات أمل أن تتبناها الدولة العبرية على المستويات : التنظيمية والقضائية والسياسية والإعلامية . بالمقابل ، و بمواجهة الحملة الإسرائيلية المنظمة ، تظهر صورة الصراع الإقليمي - الناعم ، الدائر في الشرق الأوسط من خلال الحضور الإلكتروني المكثف للجمهورية الإسلامية ، والذي يحدد مدى خطورة الحرب الناعمة وما يعد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من أعمال عدائية ، ترمي إلى تغيير القيم والهوية الثقافية الإسلامية . إذ يبدي الإيرانيون قلقهم البالغ ،

---

* باحث وأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية .

ويدعون إلى التنبه لمواجهة ما يعد للأمة الإسلامية من مؤامرات تستهدف ممانعة الشعوب التي تطمح إلى التفلت من قبضة أميركا ، والعمل على الحد من الآثار السلبية للعولمة الثقافية التي تمارس غزوا" ثقافيا" منظما" على الشعوب المستضعفة .

إن المشاهد المختلفة التي عرض لها ، تفتح باب السجال في محافل " الإنتليجنسيا " العربية والإسلامية حول آليات الممانعة . ففي قواميس بعض المثقفين العرب لا يوحى مستوى التعامل مع الممانعة كمفهوم ، إلا بردة فعل تصادمية لا قيمة كبرى لها ، والممانعة بنظر بعضهم ليست سوى أداء سلبي قاطع مع العصر ، ومعيق للتقدم على كافة المستويات . بينما ينظر البعض الآخر إلى الممانعة كثقافة متكاملة ومتفاعلة مع إيجابيات العولمة ، متخذة من الحداثة ما يتناسب مع مصالح الأمة ، و منسجمة مع أصالتها لجهة مقاومة الأهداف الاستعمارية التي تطمح إلى استغلال الشعوب المستضعفة وتحويلها إلى صيغة مستهلك لكل ما هو منتج غربي . وبما أن الحرب الناعمة تستهدف بصورة أولية صيغ الممانعة القائمة ، وانطلاقا" من أنها منهج صراع غير مباشر تستخدم فيه شتى سبل السيطرة المعنوية لقهر الشعوب المستضعفة ، لا بد من استنهاض أسئلة أبرزها : ما هي حقيقة الحرب الناعمة ؟ وما هي انعكاساتها على البلدان العربية والإسلامية ؟ كيف تتجلى تأثيراتها ؟ وما هي أهمية بناء مجتمع ممانع للحروب الخفية التي تشن بالوكالة الداخلية على البلدان العربية والإسلامية ؟

القوة الناعمة (تأصيل نظري – تاريخي)

قبل أن نعرض لظروف نشأة مفهوم الحرب الناعمة ، لا بد لنا من تبني تعريف علمي ما ، يندرج في جملة تعريفات رائجة في حقل البحوث الإستراتيجية العسكرية والسياسية . " فالقوة الناعمة مصطلح يستخدم في نطاق نظرية العلاقات الدولية ، ليشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية ، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة من خلال وسائل ثقافية وأيديولوجية . " (1) .

لدى مطالعة التعريف المدرج ، يمكننا من ناحية أولية استنتاج مغزى القوة الناعمة وما تشمل من أعمال مخططة ومنظمة ، الغاية منها ، تثمير الطاقة السياسية ، بهدف الهيمنة على القدرات والمقومات السياسية لدى الآخر المستهدف . بمعنى غزوه ثقافيا" وأيديولوجيا" ، وتحويله إلى بلد مسيطر عليه من دون أن تظهر هوية الفاعل الحقيقي . والمقصود بالفاعل الحقيقي بشكل أساس ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الناظم المولّد لنظرية القوة الناعمة ، والأمين على مشروعيتها وإعطائها بعدا"

---

(1) –U.C. Manal , Dictionary of Public Administration , Sarup & Sons p.(491).

أكاديميا" إستراتيجيا" دونما وازع ، وتحت عنوان زائف ، يزعم تعزيز الخير العام لشعوب الأرض وحماية الديمقراطية من خلال منطق الفهم الأمريكي . إن حرص الولايات المتحدة على السلام العالمي ومسيرة الديمقراطية المزعومة يفترض تمايز عناصر القوة لديها ، ولعل أفضل من عبر عن أماني الولايات المتحدة وضرورة تمايز قوتها هو " روبرت غايتس " (Robert M. Gates) ، وزير الدفاع الأمريكي الحالي . ففي مؤتمر حول قضايا الدفاع قال " غايتس " : " إن رسالتي اليوم ليست حول موازنة الدفاع أو القوة العسكرية ، رسالتي تتعلق بكيفية مواجهة أمريكا للتحديات الدولية القادمة في العقود المقبلة ، وافترض أن على أمريكا أن تبتكر مظاهر أخرى لقوتها القومية بهدف مواجهة التحديات الخارجية . ووفقا" لخبرتي التي خدمت من خلالها سبعة رؤساء ، وكمدير سابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) ، ووزير دفاع حاليا" ، أقول لكم بأنني أتيت إلى هنا لأعزز فكرة استخدام القوة الناعمة لكي تصبح قوة ردف فاعلة للقوة الصلبة . " (1) .

من الناحية النظرية ، يعتبر " جوزيف ناي " (Jozef S. Nay) المنظر الأساسي لمفهوم القوة الناعمة . يطرح ناي في مؤلفاته إستراتيجيات بارزة من أجل إنجاح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية . و " ناي " ، الذي شغل منصب مساعد سابق لوزير الدفاع الأمريكي ، ودرس بدقة تكلفة حروب أمريكا الباهظة في أفغانستان والعراق ، وجد أن وزن أمريكا الدولي لم يعد كما كان في السابق ، وأن شعبية بلده قد تدنت بشكل حاد في البلدان الإسلامية . انطلق " ناي " من فكرة أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة (المباشرة عسكريا") والجبروت العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة . وأدركوا بالمقابل ، أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة . في حين ، أن استخدام الوجه الثاني للقوة ، أي القوة الناعمة ، سيجذب الآخرين ويرفع مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية . فالقوة الناعمة ، تجعل من الآخر يريد ما نريد من دون إرغام ! كما ، وإنها العنصر الثابت في السياسة الديمقراطية ، والمعين الأساس للقوة الصلبة ، التي يفترض الحفاظ على

1- Secretary of Defense Reports 2006-2008 . Understanding The New Defense Policy Through The Speeches of Robert M. Gates , US Amazon . com p.(213) .

هيبتها ، وتخفيف انعكاساتها المعنوية السلبية على الولايات المتحدة . (1) .

من الناحية الإجرائية ، تجيز نظرية الحرب الناعمة خطط الحرب غير المباشرة " كاللعب بقواعد الخصم ، وخلق حالة من التشكيك في الثوابت والمعتقدات التي يتبناها الخصم . وفي مظهر الحرب الناعمة ، يتمظهر الاشتباك مع الخصم الخارجي بلون محلي تماما" ، بمعنى ، أن يتبلور حضور الوكيل المحلي في إطار بيئة حاضنة لأهداف الخصم بطريقة غير مباشرة . وفي هذا السياق يستعير الوكيل المحلي خطابا" وطنيا" حماسيا" لا يثير أية شبهة من حوله . بل ، ومن الأفضل أن يتبنى هو بالكامل مجموعة الثوابت المشكك فيها " (2) .

يتضمن كتاب " ناي " خمسة فصول يعرض من خلالها للطبيعة المتغيرة للقوة . ويبحث في مصادر القوة الناعمة لدى الولايات المتحدة ، مقارنا" إياها مع مصادر القوة ذاتها لدى الآخرين . وفي فصول كتابه ، يعرض لأسس استخدام القوة الناعمة ، وعلاقتها بالسياسة الخارجية الأمريكية .

تحت عنوان " وراء القوة الناعمة والقوة الذكية : قوة فائقة " ، يناقش " ستيف هامونز " (Steve Hammons) أفكار ومبادئ مرتبطة بالقوة الصارمة ، والقوة الناعمة ، أو الذكية ، معتبرا" أن استخدام هاتين القوتين ، يحقق ما يسميه " القوة الفائقة " أو " القوة التجاوزية " (Transcendent Power) . ترتكز " القوة الفائقة " برأيه على مجموعة من الموارد ، وتستند إلى دمج عناصر الإفادة من مجموعة واسعة من الموارد والأساليب التي تربط بنحو مستديم بين القوة الناعمة والقوة الصلبة . فالقوة الفائقة ، تتضمن استخدام الدبلوماسية العامة ، والموارد الثقافية الأمريكية ، والعمليات الإنسانية ، وقواعد حفظ السلام ، والعناصر الاستخباراتية القائمة على المعلومات البشرية . كما ، وتستخدم العمليات ذات التأثير النفسي (الحرب النفسية) ، وسائر العمليات الدفاعية والتكنولوجيات المتقدمة وغيرها الوسائط الهامة المختلفة . (3) .

1- جوزيف ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة محمد توفيق ، ص. (4-5) بتصرف .
2- جريدة الجريدة ،(العدد 1024) ، محمد صادق الحسيني ، 2010/8/30.
3- http://epages.wordpress.com/2009/02/26
Title : Beyond Soft Power And Smart Power Transcendent Power .

أما " ليزلي جلب " (Leslie Gelb) ، الباحث الإستراتيجي ، وأحد أبرز منظري السياسة الخارجية الأميركية ، فيرى من خلال كتابه " قواعد القوة " (Power Rules) ، أن الحس السليم بإمكانه أن ينقذ السياسة الخارجية الأمريكية من مأزقها ، وأن يخفف حدة الاستياء العالمي منها . (1) . وهو ، وبالرغم من تسليمه بأن قوة الولايات المتحدة قوة لا تقاوم ، وهي مطلقة ولا جدل يقبل حول ذلك ، فإنه وجد أن هذه القوة يفترض أن تكون على مستوى من الإتقان ، لتصبح مزيج من القوة العسكرية والتفاوض الدبلوماسي القائم على الإكراه والإقناع . وفي كتابه يحاول إثبات وجهة نظره من خلال سلسلة من دراسات حالة (Case Studies) تبحث في نجاحات وإخفاقات الولايات المتحدة في العلاقات الدولية أثناء النصف الأخير من القرن العشرين ، والعقد الأول من القرن الحالي . وفي استنتاجات " جلب " تظهر هشاشة فعل التهديدات العسكرية وحدها ، والتي لا تحل المشاكل برأيه بقدر ما تعقدها ، وهو يقترح إتباع نهج الحس السليم ، كنتاج إبداعي ، يجمع بين إستراتيجيات القوتين ، الصلبة ، والناعمة . ويركز " جلب في كتابه على عناصر خمسة أساسية هي :

- السعي لجعل أمريكا قادرة على استعادة ديناميتها الاقتصادية العالمية .
- التأكيد على انتهاج مبدأ الدمج بين القوتين : الصلبة والناعمة لإعادة إنتاج موقع الولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين .
- التحديد الواضح للتحديات والمخاطر التي تتهدد الولايات المتحدة ، كالإرهاب ، والتهديدات الاقتصادية ، والمشكلات الصحية والبيئية .
- استخدام السبل الوقائية والتعامل مع المشكلات المتوقعة قبل حصولها .
- استخدام القوة في ظروف محددة ، وأسلوب الإكراه في المواقف التي لا تحقق فيها القوة الصلبة النتائج المرجوة . ويخلص " جلب " في مؤلفه بدعوة الولايات المتحدة لانتهاج سياسة اعتدال في العلاقات الدولية ، من أجل حماية مصالحها في العالم .

وفي مؤلف " منفعة القوة " (The Utility of Force) ، يوجه " روبرت سميث " (Rupert Smith) ، وهو أحد جنرالات بريطانيا نقدا" لمنهج الحروب التقليدية (2) . فيرى ، أنه لم يعد بإمكان الآلة العسكرية

1- Leslie H. Gelb , How Common Sense Can Rescue American Foreign Policy – Cover Page – Amazon . com .

2- Rupert Smith,The Utility of Force , Introduction . Bames & Noble , 2008 .

التقليدية منفردة حسم الصراعات وتحقيق الانتصارات ، مستندا" إلى أمثلة تاريخية عن تجارب الولايات المتحدة في فيتنام ، وفرنسا في الجزائر ، محللا"نتائجها ونتائج حروب أخرى . ففي كتابه ، لا يدعو إلى استبعاد القوة العسكرية ، وإنما يحاول تأكيد فكرة أن أساليب الحروب التقليدية لم تعد كافية ، ما يتطلب استخدام منظومة مختلفة عن منظومة المواجهة بين الجيوش التقليدية .

القوة الناعمة ومفهوم الهيمنة الثقافية

عندما بحث المفكر الماركسي " أنطونيو غرامشي " (Antonio Gramsci) في العناصر المكونة لاستمرارية الرأسمالية ، أشار إلى أهمية الثقافة البديلة ،كسبيل يمكن اعتماده من أجل إنجاح الثورة الاشتراكية . و " غرامشي " الذي يعتبر من كبار منظري مفهوم " الهيمنة الثقافية " قد سعى من خلال استخدام هذا المفهوم كأداة في التفسير ، إلى تفنيد معوقات انتشار الثورة الاشتراكية في أوروبا الغربية . وفي تحليلاته ، يرى أن هيمنة الرأسمالية لا تنبني على القوة والمال والسلطة فحسب ، بل على عامل القبول الذي تكونه ثقافة الطبقة الحاكمة في أذهان الناس. ويحاجج " غرامشي " ، بأن حدوث التغير الاجتماعي ، إنما يعتمد على ضرورة إنتاج ثقافة بديلة لدى الشرائح الاجتماعية المسحوقة ، ثقافة تحمل قيم ومفاهيم وتقاليد الثورة ، من أجل مقاومة الثقافة الرأسمالية المهيمنة على المجتمع . بمعنى ، أنه لحظ منذ زمن بعيد الدور المنشود لاستخدام منهجية الحرب الناعمة – وإن بعبارات أخرى – كحرب تسبق الأعمال العسكرية المتحركة ، وأدرك أن هنالك حربا" ثقافية قائمة بين النظامين : الرأسمالي والاشتراكي تتطلب استنهاض قنوات مختلفة ، كوسائل الإعلام ، والمؤسسات التربوية والفكرية ، بهدف أنتاج ثقافة بديلة مواجهة لثقافة الهيمنة النابعة من قيم وفلسفة الرأسمالية .

وقبل انهيار المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفياتي السابق أيضا" ، استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية كافة إمكاناتها الثقافية والإعلامية لتحقيق النظام العالمي الجديد والقطبية الأحادية . فانتهت الحرب الباردة ، وخسر اليسار العالمي مواقعه المتقدمة ، وبان الهدف الإستراتيجي الأساسي للولايات المتحدة ، والمتمثل بقيام إمبراطورية أمريكية عالمية تحت عناوين جديدة ، تستهدف قوى معارضة لنهج العولمة المضمر ، زاعمة أن أصول الصراع المستقبلي ، لا يعدو أن يكون صراعا" حضاريا" ، وقد تجلت فذلكة مفهوم الصراع القادم في كتابات ونظريات مفكرين أبرزهم " فرانسيس فوكوياما " (Francis Fukuyama) ، و" صموئيل هنتنغتون " (Samuel Huntington) ، اللذان رسما بطريقة ما البعد النظري – التبريري للمزاوجة ما بين مفهومي القوة الصلبة والقوة الناعمة ، وأسسا بصورة غير مباشرة لمنهجية الهيمنة الثقافية ، الأمر الذي يستدعي الوقوف على آثار

بصماتهما الخفية . فما هي الأدوار الأيديولوجية التي رسمت من خلال هذين المفكرين ؟ وما صلة استقراءاتهم غير الأمينة إلى حد بعيد في فهم حركة التاريخ ؟ وما صلة ذلك بفكرة توطيد موقع الحروب الناعمة كإستراتيجية متطورة للتوسع الإمبريالي والهيمنة الثقافية ؟

تسيدت مقولة " نهاية التاريخ " لمنتجها " فرانسيس فوكوياما " محافل الفكر السياسي الأمريكي لفترة ناهزت الخمس سنوات . ففي كتابه : " نهاية التاريخ والإنسان الأخير " (The End of History and The Last Man) الذي صدر في العام 1989 ، تلاقت طروحات المؤلف مع التوجهات الأيديولوجية للمحافظين الجدد ، لجهة التنبؤ بانهيار الأنظمة الشمولية ، وسائر الأنظمة الشيوعية والاشتراكية ، والتنبؤ أيضا" ، بانتصار النظام الليبرالي ، كنظام سياسي – اقتصادي فريد في المستقبل .

عارض " فوكوياما " في كتابه نظرية " كارل ماركس " (Karl Marx) وفهمه المادي – التاريخي الذي اعتبر من خلاله أن نهاية الاضطهاد الإنساني مسألة حتمية ، وأن زوال الصراع الطبقي سيؤسس لعدالة إنسانية مقبلة . ووجد أن نهاية الاضطهاد ستكون على يد حالة استقرار نظام السوق الحرة في الديمقراطيات الغربية . أما لجهة الناحية التي تربط فكر " فوكوياما " بمفهوم " القوة الناعمة " ، فتكمن في اقتناعه بضرورة أن تبقي الولايات المتحدة على جهوزيتها المستمرة لاستخدام القوة الصلبة في سبيل حماية ونشر الديمقراطية . ولكن ، بالتوازي مع ما أطلق عليه نموذج ويلسن الواقعي . اعتبر " فوكوياما " ، أن استخدام القوة يفترض أن يكون آخر الخيارات التي يتم اللجوء إليها ، ووجد أن إصلاح التعليم ودعم مشروعات التنمية ، يمنحان سياسة الولايات المتحدة أبعادا" مشروعة من أجل نشر الديمقراطية .

وفي الفترة التي تخلى فيها " فوكوياما " عما كان قد طرحه من أفكار موالية للمحافظين الجدد في مقال نشرته المجلة التابعة لصحيفة " نيويورك تايمز " (New York Times) ، في العام 2006 . نفى أن تكون الحرب العسكرية هي الإجابة الصحيحة على الحرب على الإرهاب . وأضاف ، أن معركة كسب عقول وقلوب المسلمين حول العالم هي المعركة الحقيقية . أشار " فوكوياما " إلى ذلك ، وهو يدرك أن الحروب الصلبة التي شنتها الولايات المتحدة قد خلفت الكثير من الويلات ، وأن هنالك صحوة قادمة ستغير من درجة تقبل " المايسترو " الأمريكي في العالم الإسلامي ، وأن القوة العسكرية لم يعد بإمكانها أن تسحق شعوبا" بكاملها مهما عظمت .

ما كتبه " فوكوياما " في العام 2006 ، إن دل ، فإنه يدل على محاولة تنصله من جرائم المحافظين الجدد في العالم ، ومن الأخطاء السياسية الفادحة – وفق فهمه – التي ارتكبت في عهد الرئيس الأمريكي " جورج بوش " . وقد تبدى ذلك في كتابه : " أميركا على مفترق الطرق " (America At the Crossroads) . ففي فصول مؤلفه ، يبدي الكاتب قلقه من أسلوب تعاطي الإدارة الأمريكية مع الشرعة الدولية من خلال غزو العراق ، وإن بنحو إصلاحي – تبريري ، ملمحا" إلى أن أمريكا قد أضحت على مفترق طرق ، أي انه قد استشرف بشكل ما لا صلاحية المحافظين الجدد في قيادة السياسة الخارجية لأمريكا ، وناد بضرورة الانطلاق من مرحلة جديدة تقوم على فكرة المزاوجة ما بين القوتين : الصلبة والناعمة .

في دائرة التنظير لضرورة الحرب والتصادم الحضاري القادم ، الذي يستوجب التحديث الدائم لأدوات القهر الامبريالية على المستويين : المباشر ، والرمزي . لمع نجم " صموئيل هنتنغتون " (Samuel Huntington) في نظريته " صدام الحضارات " (The Clash of Civilizations) في نهاية التسعينات أيضا" . ولعل الأسباب التي أدت إلى اتساع شهرة " هنتنغتون " لا تتعلق بالقيمة العلمية التي تحملها نظريته فحسب . بل بصلتها الوثيقة بنهج اليمين الأمريكي المتطرف . لذا ، فإنها قد جاءت لتعبر عن سياسة " النيو – ليبرالية " ، بعد أن أفلت مرحلة النتاج النظري لمؤلف " نهاية التاريخ والإنسان الأخير " لفوكوياما .

عمد " هنتنغتون " في كتابه إلى تبرير نوع آخر من الحتمية ، أي الحتمية الثقافية القائمة على الهيمنة ، والمستندة إلى تصوير مشهد الصراع القادم بعد انهيار الشيوعية ، بأنه صراع خطير حاضرا" ومستقبلا" ، ويتطلب بالتالي من سادة الحضارة الغربية صراحة" ، أخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي الليبرالي . وفي نظريته يطرح فكرة" مؤداها ، أن مشهد الصراع القادم لن يكون أيديولوجيا" أو اقتصاديا" ، بقدر ما أنه سيكون حضاريا" – ثقافيا"، لافتا" إلى أن الصراعات السياسية الدولية المرشحة للنشوب ، ستحدث بين حضارات ستتنازع من أجل السيطرة على العالم ، وستكون بين ثلاث حضارات رئيسية هي : الحضارة الإسلامية ، الحضارة الصينية ، والحضارة الغربية . ولفت المؤلف إلى أن هذه الصراعات ستحل محل الصراعات الأيديولوجية .

يفصح كتاب " صدام الحضارات " عن منطلقات أيديولوجية تبرر مبدأ صراع الحضارات بدلا" من مبدأ الحوار فيما بينها . ويعزز بشكل غير مباشر ، ومن زاوية إستراتيجية ، مبدأ سباق التسلح وتطوير القوة العسكرية الأمريكية إلى ما لا نهاية ، بدلا" من العمل على بناء السلام العالمي المبني على حوار الحضارات وتفاعلها .

وبناء" على ما سبق ذكره ، يلاحظ أن نظرية " هنتنغتون " ، تميل إلى إظهار انتقائية فاضحة في تصنيف الحضارات . فتارة" يستبعد الكاتب حضارات معينة ، وتارة" ينمق أخرى في أسلوب يخفي التمايز الحضاري الأورو – أمريكي . وبرأيه ، فإن " الحضارة الكونية ستقوم على عاتق معتقدات وقيم يحملها العديد من الناس الذين يعيشون في كنف الحضارة الغربية ، إضافة إلى بعض الذين ينتمون إلى حضارات أخرى " . (1) . و " هنتنغتون " لا يتطرق بالطبع في مؤلفه إلى ما جنته الحضارة الغربية من كوارث ، ولا يشير إلى أي نقد بنيوي لطبيعة الدور الامبريالي ، أو إلى الأنساق الاستعمارية المغلفة التي تجتاح الولايات المتحدة من خلفها البلدان الضعيفة ، وهو لا يكف عن تأكيد الصراع الحضاري المتأجج بقوله : " أنه في العصور المقبلة سيشكل صدام الحضارات التهديد الأعظم للسلام العالمي " (2) ، نافيا" بذلك مقولات الصراع الأخرى ، ذات البعد المجتمعي – الطبقي .

في ضوء العرض المقتضب للبعد الأيديولوجي لمقولة صراع الحضارات ، تتبدى جملة من التساؤلات حول شكل ومستقبل الصراعات الدولية القادمة . وبصورة خاصة ، حول ما طرحته الولايات المتحدة من أفكار مطمئنة بعيد الحرب الباردة ، وما نسجته من ترويج لعصر العولمة الواعد بتحقيق الرخاء والتقدم وإزالة الفروق بين بني الإنسان . فالعولمة المزعومة ، لم تحقق أي شكل من أشكال العدالة الدولية ، بقدر ما عملت على تفريغ الثقافات العالمية من محتواها الحقيقي . كما وأن العولمة لم تنهي التاريخ ، وما الحديث عن موت التاريخ إلا حديثا"" مؤدلجا" " يشتغل انطلاقا" من مرامي تتستر بوجهة نظر، هدفها في الباطن تكريس الهيمنة الثقافية على الحضارات غير الغربية . وما لا شك فيه ، أن " هنتنغتون " قد صاغ نظريته بدرجة وفاء عالية للنهج الأمريكي الذي كان بأمس الحاجة لمبررات نظرية تمكنه من إحكام السيطرة على الشعوب المستضعفة .

ما بين " جورج بوش و " باراك أوباما " : الهيمنة المحدثة

بعد انتهاء الفترة الرئاسية لجورج بوش ، و ما خلفته الآلة العسكرية الأمريكية من قتل ودمار في بقاع مختلفة من العالم . وفي مناخ التراجع الحاد لسمعة الولايات المتحدة الأمريكية في المحافل الدولية إثر ما قدمته للإنسانية من موت وتشرد وإعاقة في أفغانستان والعراق . عادت السياسة الأمريكية إلى الساحة الدولية بوجه جديد ،

1- The Clash of Civilizations , Samuel Huntington , Books-A-million , 1997 p. (57) .

2- Same ref. p. (321) .

يخاطب العالم الإسلامي بوصفه عالم جدير بالاحترام والثقة ! إنه وجه" باراك أوباما" . انتخب أوباما ليوحي بتغير ما في سياسة أمريكا الخارجية ، فأطلق رئيسها الجديد الصورة الإيجابية – الخادعة لسياسة لم تغير في أهدافها بقدر ما غيرت في نهج تحاول لغاية الآن تفحص مدى أهليته لبناء الإمبراطورية الأمريكية المستندة إلى القوة الناعمة .

انعكست التحولات السياسية الأمريكية بداية في مشهد الخطاب السياسي الهادف بصورة ما إلى كسب معركة في خانة التأثير الثقافي ، ومحاولة السيطرة مجددا" على عقول وقلوب المسلمين . ففي الخطاب المحدث ، يتم اختيار المفردات التي تعنى بالسلام ، ومحو الظلام ، وبناء كوكب الأرض عبر استخدام الطاقة الآمنة . وفي عناوين الخطاب الجديد منعطفات يصعب تصديقها حول بناء شراكات جديدة مزعومة مع شعوب البلدان النامية ، التي أغدق عليها بالوعود المتعلقة بنشر التعليم وتحقيق الديمقراطية والعدالة الدولية ! أي جملة الأساليب التي تدعو إلى ترجيح كفة سياسة القوة الناعمة ، وتجنب استخدام القوة العسكرية الصلبة لحل الصراعات الدولية ، أو الدفاع عن المصالح الأمريكية – الدولية إذا صح التعبير . " فقد حدثت أثناء ولاية جورج بوش فجوة واسعة طالت كيفية النظر إلى أمريكا من خلال شعبها ، وكيفية نظر بلدان العالم غير الأمريكي لها . إذ يحاول الرئيس أوباما حاليا" عبور هذه الفجوة ، إلا أن النجاح لن يكون سهلا" ، لأنه يتطلب إعادة تقويم في ضوء المصلحة القومية ، بعيدا" عن المبالغة والاستثناءات المزعومة " (1) .

-Soft Power and Foreign Policy : Theoretical , Historical , and Contemporary Perspectives . Inderject Parmer and Michael Cox . Books-A-Million p. (165-166) . -1

القوة الناعمة في مشهد الإعلام وحالة الصراع الدولي – الإقليمي على الشبكة الإلكترونية

من قواعد الحرب الناعمة أن تستخدم وسائل الإعلام بهدف التأثير على قناعات ومبادئ الخصم عبر وسائط الاتصال المختلفة . ذلك ، ليس من أجل إحداث نشر ثقافة بديلة عن الثقافة المحلية فحسب . بل من أجل إحداث قلب في معايير التفكير واتجاهات الرأي العام في البلد المستهدف .

وفي استراتيجيات الحرب الناعمة ، يعمل بما يسمّى بحرب المواقع الإلكترونية لإثارة السجالات ، ومحاولات الجذب والتأثير ، والقرصنة ومهاجمة مواقع الآخر المستهدف " بالفايروسات " المتنوعة . وأمور كهذه ، تمكن ملاحظتها في مضامين موضوعات الشبكة ، التي تظهر ما ينظّر حول الحرب الناعمة في دائرة الصراع الدولي – الإقليمي ، حيث تتبدى أنماط حضور مختلفة ، تبحث في مخاطر هذه الحرب وأشكالها في منطقة الشرق الأوسط ، بين أطراف سياسية تمثل اتجاهات عدة ، تتمثل بحضور قوى إسلامية مستقلة ، حضور إيراني ، وحضور إسرائيلي ، يقابله غياب حضور غالب الحكومات العربية عن مسرح التصدي لهذا النوع من الحروب ، وربما يحدث ذلك ، بحكم أن هذه الحكومات لا تشعر بأنها معنية بتأثير الفايروسات الناعمة ، أو ربما لأنها تلعب دورا" لصالح انتشارها ، وإن بصورة غير مباشرة ، فما الذي يستحق إثارة السجال والجدل ؟

على صعيد الإعلام ، يروج الغرب الأمريكي دوما" لحرية التعبير عن الرأي وحقوق النشر ، وحرية نقل المعلومات والإفادة منها ، باعتبارها حقوق إنسانية لا يمكن المساس فيها . وتحت عناوين كهذه ، تلام وتعنف الأنظمة الشمولية والدكتاتورية على قمع الصحافة الحرة ، وتوجه الانتقادات عندما يتعلق الأمر ببلدان غير صديقة ، أو وفية للولايات المتحدة والغرب عموما" . أما لجهة الجانب المغفل الذي لا يتم الحديث عنه . فيقع في إستراتيجيات الإعلام في الحرب الناعمة ، وفي منهجية السيطرة والتحكم بعقول الشعوب ، عبر تحويل أساليب التفكير والذهنيات نحو أمور تافهة أحيانا" لا تصب بمعظمها في محيط تناول قضايا حيوية . فتبعد العقول عن ملامسة مسائل التغير البنيوي ، وتحولها إلى عقول مستهلكة غير منتجة ، الأمر الذي يضع الأفكار والمعلومات في دائرة استهلاكية ، ويرجح التعاطي مع الشعوب بمنطق إغراقي شبيه بمنطق الإغراق السلعي ، الذي يوقع مستهلك المعلومات في هستيريا الاختيار .

وبصدد وظائف الإعلام في التحكم والتأثير ، نلفت إلى قائمة أعدّها المفكر الأمريكي " نعوم تشومسكي " (Noam Chomsky) ، اختزل فيها الطرق التي تستعملها وسائل الإعلام العالمية للسيطرة على الشعوب ، والتي حددها بعشر إستراتيجيات أساسية * . وهي :

1"- الأولى : إستراتيجية الإلهاء ، وهدفها الأساس يتمثل في تحويل انتباه الرأي العام عن المشكلات الهامة ، من خلال بث جملة من الإلهاءات والمعلومات التافهة التي تضع المتلقي في خانة التشتت .

2"- الثانية : وتتعلق بإستراتيجية ابتكار المشكلة ، وإحداث ردة الفعل ، ومن ثم تقديم الحل . أي ، أن يثير الإعلام مشكلة تحدث ردة فعل من قبل الشعب ، فيطالب بحلها ، في وقت يفترض المطالبة بحل مشاكل أكثر أهمية وملامسة لظروف الحياة اليومية .

3"- الثالثة : إستراتيجية التدرج ، ويعمل بهذه الإستراتيجية من أجل تقبل إجراء من الصعب تقبله . بمعنى إقناع الشعب بضرورة حصول التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بنحو تدرّجي تصاعدي .

4"- الرابعة : ويسميها " تشومسكي " إستراتيجية التأجيل . وهي طريقة يتم الالتجاء إليها من أجل إكساب الأمور المكروهة حالة التقبل . كتقبل إجراء ما في الحاضر يفترض تطبيقه في المستقبل ، وترسيخ فكرة أن ما يقدمه الشعب في الحاضر ، سيجعله في موقع تفادي التضحية المطلوبة في المستقبل .

5"- الخامسة : وتتجلى في مخاطبة الناس وكأنهم مجموعة من أطفال صغار ، وبواسطة شخصيات وخطب ، لا تستدعي لدى المتلقي الحس النقدي السليم .

6"- السادسة : وتنطلق من استثارة العاطفة بدل تفعيل التحليل المنطقي . أي محاولة تحريك مشاعر وعواطف الناس من خلال إثارة الرغبات والمخاوف والنزعات السلوكية ، بشتى الوسائل .

- حول " تشومسكي " والإعلام ، أنظر بالإنكليزية :
http://www.abovetopsecret.com/forum/thread633151/pg1

7"- : السابعة : وتكمن في إبقاء الشعوب في حالة من الجهل والحماقة ، وإبعادها عن التكنولوجيات المتقدمة ونوعية التعليم الجيد . وتتقاطع هذه الإستراتيجية مع إستراتيجية الإلهاء .

8"- الثامنة : تشجيع الشعب على استحسان الرداءة ، كأن يجد الفرد أنه من الرائع أن يكون غبيا" .

9"- التاسعة " استبدال حالة التمرد بحالة من الشعور بالذنب . أي جعل الفرد يظن بأنه المسؤول الأوحد عن أخطائه وتعاسته ، وأن مشكلاته الحياتية إنما تعود إلى سوء اندماجه ونقص ذكائه وقدراته ، عوضا" عن قيامه بحراك سياسي يستهدف بنية النظام الاقتصادي القائم .

10"- عاشرا" : إستراتيجية سيطرة الإعلام من خلال تقدم العلوم البيولوجية والنفسية . فبرأي " تشومسكي " ، يلعب التطور العلمي دورا" هاما" في عمليات التأثير نتيجة دراسة طباع الناس وميولهم . وقد نتج ذلك التأثير برأيه عن الفجوة المعرفية بين عامة الناس ، وبين الذين يمتلكون أدوات السيطرة ، مما يجعل تأثير القوى الحاكمة أقوى من تأثير الأفراد على أنفسهم . (1)

من هنا ، نستنتج أن للإعلام دور مستتر أيضا" ، يمارس عبر الديمقراطيات المثالية ! على الشعوب المستهدفة ، بهدف تفريغها من عناصر القوة والممانعة انطلاقا" من ازدواجية الدور المرسوم له .

يتكرر فعل هذه الاستراتيجيات في حقل آخر ، هو حقل الحرب الإلكترونية الذي تتم تجلياته في اتجاهين مترابطين : اتجاه أول ، وتتدخل فيه تقنية مهاجمة الأعداء " بالفايروسات " بواسطة مخترقين (Hackers) . واتجاه ثاني ، يتأسس على غزو العقول ، وتغيير أساليب التفكير ، وصناعة الأذواق ، وإثارة التضليل المقصود . على مستوى الاتجاه الأول ، تخترق أنظمة الحواسيب من خلفيات سياسية واقتصادية وثقافية من جهة ، وأعمال قرصنة وسرقة معلومات من جهة أخرى . وقد استهدفت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على سبيل المثال بفايروس " ستاكسنت " (Stuxnet) ، وهو منتج فايروسي استخدم لإحداث أضرار بالبرنامج النووي الإيراني وأجهزة

---

(1) جريدة السفير اللبنانية (عشر استراتيجيات للتحكم بالشعوب – شباب السفير) 2011/2/15 .

الطرد المركزي خاصته . أما على مستوى الاتجاه الثاني ، فإنه يعبر عن الصراعات وأساليب الدفاع والتحصين والدعاية المنظمة من خلال الشبكة الإلكترونية . وبمجرد تصفح فهارس المواقع الخاصة بالحرب الناعمة ، تمكن ملاحظة أطراف الصراع الدائر ، خاصة على الصعيد الإقليمي ، والذي سنعرض لتمثيل أشكال حضوره ، بغية تفنيد أبعاده ومراميه ، ووعي خطورة ما يجري في عالم يدعي " الدمقرطة " ، ولا يعمل من أجلها إلا القليل .

أطراف الصراع وتجليات الهجوم والدفاع والتضليل والممانعة

تلحظ فهارس الشبكة الإلكترونية أوجه عدة للصراع الخفي . وبالرغم من أن تحليها وتفسير مضامينها يحتاج إلى مبحث مستقل ، سنعمد إلى توضيح مشهد النزاع عبر التركيز على أشكاله التالية :

- الحضور الإسلامي غير المرتبط ببنية الأنظمة السياسية العربية .
- الحضور الرسمي للجمهورية الإسلامية الإيرانية .
- الحضور الإسرائيلي المتعدد الأبعاد .

يتبدى الحضور الإسلامي المتنوع بتدخلات فردية ، تقع أهميتها في إثارة الوعي حيال أبعاد الحرب الناعمة ومخاطرها على الثقافة الإسلامية . واللافت أن بعضها يحمل تحليلات نقدية لدراسات مؤسسة " راند " (Rand) * الأمريكية ، حول الإسلام ، والتي تحث على بناء شبكات الكترونية ذات طابع إسلامي معتدل ، بهدف أمركة مفهوم الاعتدال وتفكيك الصف الإسلامي ، وانتداب قوى داخل المجتمعات الإسلامية تنشط لإشعال نزاعات أيديولوجية بين العلمانيين والحداثيين والتقليديين . ويخلص مضمون الاتجاه الإسلامي المتنوع إلى توعية الناشئة ، بأن هنالك معركة فكرية تشن ضد الإسلام ، وتنفذ على يد أناس من أبنائه لهدم الإسلام وتعطيل الشريعة باسم الإسلام .

---

* يعمل في مؤسسة راند ما يقرب من 1700 شخص في أكثر من خمسين دولة ، ولديهم خبرات متفوقة في التوثيق ، والتدريب الأكاديمي ، والبحث في القضايا السياسية والأيديولوجية، ومسائل العرق والجنس . ويتم تجميع فرق المؤسسة من بين مهنيين مختصين في الأبحاث ، ولديها مشرفين يبلغ عددهم حوالي 950 باحث في الحقول الأكاديمية والمهنية ، وفي فروع الاقتصاد والعلوم السلوكية والطب والهندسة . وللمؤسسة فروع منتشرة في كافة أنحاء العالم ، ولها فرع في أبو ظبي وآخر في قطر .
لمزيد من التفصيل أنظر الموقع الإلكتروني الرسمي للمؤسسة :
http://www.rand.org/publications/pubs_search.html

تناقش المواقع الإسلامية أيضا" جرائم الرئيس الأمريكي الأسبق " جورج بوش " مظهرة فظاعتها ، وتشير إلى أن الرئيس الحالي قد جاء ليغسل وجه أمريكا الملوث بدماء المسلمين ، وتدعوا إلى اليقظة والتنبه ، وتوجه نداءات إلى قادة الأمة الإسلامية للعب دورهم ، لأن العلماء هم قادة ، وأن الأمة لا تنتهك إلا حين يسكت العلماء الناصحون . وعلى المستوى الديني – الإرشادي ، تتوجه بعض المواقع إلى دعاة الإسلام في العالم للعب دورهم في الدعوة إلى القيام بالواجبات الدينية ومحاربة المحرمات ، وعدم تربية الشباب على دين متفلت من الضوابط الأخلاقية ، وتوجه رسائل لكل مسلم ومسلمة حول ما يحاك ضد الأمة الإسلامية من مؤامرات هدفها التفرقة ، طالبة منهم الاحتكام إلى قواعد القرآن الكريم ، لأن المستقبل في العالم ، هو مستقبل المسلمين .

أما الحضور المتعلق بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ، فيتميز بتبيان مدى استهداف النظام السياسي ، وبمساهمات الولايات المتحدة في إنتاج المعارضة الداخلية له بوسائط مختلفة ، منها ما هو محلي ، ومنها ما هو خارجي . وقد لا يبدو الأمر محيرا" لأن إيران مستهدفة منذ قيام ثورتها باستراتيجيات الحرب الناعمة ، نتيجة لتنامي دورها الإقليمي الفاعل ، ولعدائها المطلق لإسرائيل ، وتبنيها برنامجا" نوويا" يثير قلق أمريكا ويهدد المصالح الغربية في الشرق الأوسط .

برز الاهتمام الإيراني الرسمي بتأثيرات الحرب الناعمة من خلال مواقف وتوجيهات مرشد الثورة الإسلامية آية الله خامنئي ، والتي تدعو إلى التعبئة ، نظرا" لما تشكله هذه الحرب من مخاطر ترمي إلى أيجاد التفرقة بين أبناء الشعب وإحداث الضرر في إيران . وقد أوضح ذلك مرشد الثورة في مواقف عدة ، لاحظا" أن القوى الإستكبارية ، وبعد فشلها في استهداف بلاده خلال العقود الثلاثة الماضية ، قد لجأت إلى بث التفرقة ، وتشويش الأذهان . ودعا جميع وسائل الإعلام والناشطين السياسيين وسائر المسؤولين المعنيين إلى الكف عن الخلافات الهامشية للتصدي للهجمة التي تتعرض لها الجمهورية الإسلامية . أما على المستوى الحكومي . فقد أشار وزير الأمن الإيراني إلى أن بلاده مستهدفة بالحرب الناعمة ، وأن هنالك أكثر من ثمانين مؤسسة تعمل في أمريكا ، بميزانية تبلغ نحو مليارى دولار سنويا" لإثارة الحرب الناعمة وتحقيق أهدافها في إيران . وقد لحظ الوزير الإيراني أيضا" ، أن أمريكا قد حاولت ولم تزل ، أن تؤثر على السياسة الإيرانية عبر سلسلة من العقوبات ، إلا أن ذلك لم يفلح ، نظرا" لقدرة إيران على الممانعة ، معتبرا" أن استهداف بلاده لم يزل قائما" ، نتيجة تنامي القدرات الإيرانية في شتى المجالات . وبما أن مشهد الصراع يشير إلى خروج إيران عن قواعد اللعبة الدولية وتوزع مراكز القوة

والنفوذ " فأن الغرب ، وبقيادة البت لأبيض ، قد وضع على جدول أعماله خيارات عدّة لوقف التقدم الإيراني المتواصل . وما هدف الحرب الإعلامية الناعمة إلا التأثير على فكر الشعب الإيراني ، وإخافة المسؤولين من المضي قدما" في الطريق الذي سلكوه (1) .

و في مواقع عدة على الشبكة الإلكترونية أيضا" . يتهم المسؤولون الإيرانيون الولايات المتحدة ودولا" أخرى بالسعي إلى الإطاحة بنظام ولاية الفقيه من خلال استخدام القوة الناعمة بمساندة مثقفين وغيرهم من داخل المجتمع الإيراني . ولمواجهة هذه الحرب ، يلاحظ تعدد المباحث حول آليات التصدي لهجمة الغرب الثقافية – الأيديولوجية في مدونات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الداعية إلى ضرورة تبني خطوات ميدانية في حقل المواجهة بين إيران وأعدائها . ففي " ملتقى إستراتيجية وسائل الإعلام الداخلية لمواجهة الحرب الناعمة " ، ركز وزير الثقافة الإيراني على أهمية ما يلي :

1- ضرورة تأليف عشرات الكتب التثقيفية لمواجهة هذه الحرب .

2- التنبه إلى ما ينتجه الإعلام ، لافتا" إلى أن قدرته على التدمير ، هي أقوى وأخطر من القنبلة الذرية ، كونه من الوسائل الأكثر أهمية في الحرب الناعمة مما يستوجب ترشيد الإعلام المحلي على كافة المستويات .

3- تفعيل قدرات الحكومة ، والجامعات ، والمؤسسات ، ووسائل الاتصال كافة لمواجهة هذه الحرب .

4- التنبه لتطورات الحرب الإلكترونية ، وما يقوم به موقع " فايس بوك " (Facebook) من أنشطة معادية لإيران ، معتبرا" أن الحقيقة هي الضحية الأولى للحرب الإعلامية . (2)

---

(1) جريدة القبس : (محطات إيرانية – الحرب الناعمة والخيارات الفاشلة ضد إيران . 2011/3/19 .

(2) جريدة النهار اللبنانية : (وزراء نجاّد يتعهدون بمواجهة الحرب الناعمة ضد إيران) . 2009/9/2 .

في المقلب الآخر ، يتبدى الموقف الإسرائيلي من الحرب الناعمة في محطات أساسية ثلاث : الخوف من سلطة الإعلام ، اعتماد أسلوب الخدعة لتشويه الحقائق التاريخية للصراع العربي – الإسرائيلي ، و سياسة المواجهة والغزو المتعدد الأهداف .

في نطاق الخوف من سلطة الإعلام ، وفي الفترة التي عرض فيها المسلسل التركي " صرخة حجر " ، اعترض الإسرائيليون بشدة على المسلسل المذكور ، واعتبروا أنه يشكل تحريضا" خطيرا" ضدهم فعمدوا إلى استدعاء السفير التركي ، واحتجوا لدى تركيا ، محدثين ضجة إعلامية كبرى ، لأن المسلسل قد أثار حقائق تتناقض مع المشهد الذي تقدمه إسرائيل عن سياستها في الغرب المناصر لها . فالدولة الصهيونية ، تدرك مدى الخطر الذي يشكله الإعلام عليها . ولذلك ، أعطت أهمية كبرى للسيطرة على مرافق إعلام حيوية ، سواء في أوروبا ، أو في الولايات المتحدة ، لأنها تؤمن بأهمية وسائل الإعلام في صناعة رأي عام ملفق يحتضن قضيتها بشتى السبل والمؤثرات .

تنطلق إسرائيل بتنظيرها لمفهوم الحرب الناعمة من خدعة كبرى . والساسة الإسرائيليون يحتاجون دوما" إلى حائط مبكى لإيهام العالم بأن إسرائيل هي دوما" المعتدى عليها ، وأنها الضحية التي تذبح من قبل العرب والمسلمين . ففي " مؤتمر هرزليا " * ، اعتمدت إسرائيل في فنون الخدعة على تشويه الحقائق لتمرير فكرة أن مصدر الحرب الناعمة عربي – إسلامي من جهة ، وأوروبي معادي للسامية من جهة أخرى . ويلاحظ ما ذكرناه من خلال مطالعة أعمال المؤتمر المقصود . حيث وزعت أوراق عمل ، تلحظ أن لكراهية اليهود جذور عميقة في الإسلام منذ القضاء على القبائل اليهودية في شبه الجزيرة العربية . وفي المؤتمر المذكور ، وضعت إسرائيل موضوع الكراهية والتحريض على جدول الأعمال ، مفصلة جملة من التجليات التي تمارس عليها من خلال الحرب الناعمة ، والتي نذكر منها ما يلي :

1- كثافة الأنشطة الهادفة إلى عزل إسرائيل ، ومقاطعتها من قبل المنتديات الدولية والإسلامية ، وممارسة التأثير على بعض المؤسسات العلمية في أوروبا لاستبعاد القدرات الأكاديمية الإسرائيلية .

2- استخدام كافة أساليب التحريض من خلال وسائل الإعلام العربية ، كقنوات : الجزيرة ، والمنار ، والعربية ، وغيرها ، لإظهار لا شرعية إسرائيل ولا إنسانية الشعب اليهودي والفكر الصهيوني . وتجنيد بعض وسائل الإعلام الغربية كقناة

---

* لمزيد من المعلومات حول " مؤتمر هرزليا العاشر " ، أنظر الموقع الرسمي التالي :

/http://www.herzliyaconference.org/eng

(BBC) الانجليزية ، التي تبث ، ليس إرضاء" للعرب والمسلمين فحسب ، بل لأسباب مصدرها أوروبي محلي .

3- ممارسة التحريض في وسائل الإعلام الفلسطينية ، حيث أن هنالك محاولات فلسطينية تجري لإخفاء رسائل الكراهية المنتجة لدى السلطة الفلسطينية عن الرأي العام الدولي ! فمن وجهة النظر الإسرائيلية ، أنه ، وبالرغم من اعتراف السلطة الفلسطينية بشرعية الدولة الإسرائيلية ، فإن هذا الاعتراف لم يؤدي إلى اتخاذ موقف صارم من الانتفاضة الشعبية ، الأمر الذي جعل بعض الحكومات الغربية تعترف بشرعية نضال الفلسطينيين ضد إسرائيل .

4- تمارس الحرب الناعمة على إسرائيل أيضا" عبر التحريض في الكتب الفلسطينية التي لم يتم إحداث تغيرات جوهرية في مضامينها التي تحمل تحريضا" ضد إسرائيل . لأن كتب التعليم لا تعترف بإنسانية الشعب اليهودي ، ولا تنشر ثقافة السلام مع إسرائيل ، وتزيف بالتالي حقيقة الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني .

5- التحريض الذي تمارسه حركة حماس لكسب الرأي العام الفلسطيني ، والدور السلبي الذي يلعبه قطاع التعليم في قطاع غزة ، لأنه يحرض شفويا" على دولة إسرائيل انطلاقا" من أيديولوجية حماس .

6- دور المنظمات الإسرائيلية غير الحكومية (NGO's) في نشر المعلومات الكاذبة والمحرفة حول إسرائيل . إذ يدعم بعضها الفلسطينيين بتمويل من الاتحاد الأوروبي الذي يمدها بخمسين مليون دولار سنويا" !

7- ضعف وسائل الإعلام الإسرائيلية وتأخرها بالرد على بعض الأنظمة العربية التي لا ترغب بإحراجها ! . إذ تتمادى هذه الأنظمة في السماح ببث الكراهية ضد إسرائيل ، وتسمح بمهاجمتها من قبل القوى الداخلية المعادية .

أما لناحية الحلول التي تطرح إسرائيليا" في مواجهة الحرب الناعمة . فقد لحظت خلاصات " مؤتمر هرزليا " جملة من التوصيات التي تدعو إلى انتهاج مبدأ التحول من قاعدة الدفاع ، إلى قاعدة الهجوم الإعلامي . ووفقا" لنتائج المؤتمر ، يتطلب ذلك إحداث تغييرات تنظيمية ، وتحقيقات ، ومراقبة شاملة ، وتوثيق ، ورد سريع ،

ونشاط إعلامي في مؤسسات التعليم الأوروبية . وفي المجال القضائي ، تفترض المواجهة الفاعلة ، تغيير بعض التشريعات وتقديم الدعاوى بحق الذين يكنون الكره لإسرائيل . وعلى المستوى السياسي . يتطلب الأمر تغييرات جوهرية في الدبلوماسية العامة ، من خلال أخذ زمام المبادرة ، وليس الرد بمنع التحريض فحسب ... كأن يتم عرض الوجه الجميل والمشرق لإسرائيل ، وإبراز نجاحاتها ومساهماتها العلمية والطبية والزراعية . وطالب المؤتمر ، بأن يعمل دوليا" على سن تشريعات ضد التحريض ، وتغيير القانون الدولي بخصوص موضوع الإرهاب ، بطريقة تسمح لدول العالم وإسرائيل ! العمل بحرية أكبر في حقل مكافحة الإرهاب ، دون أن يعتبر الأمر خارقا" لحقوق الإنسان أو جريمة حرب !

أما على المستوى الإعلامي ، فخلص المؤتمر إلى إطلاق توصيات لتغذية وسائل الإعلام في إسرائيل وخارجها ، لسماع الرواية الإسرائيلية والمس بالرواية المعادية ، والتوصية بتأسيس محطة تلفزيونية فضائية لبث صوت إسرائيل في العالم العربي ، والرد على المواقع الإلكترونية التي تستقطب أعدادا" كبيرة من المشاهدين . وقد أوصى المؤتمر بضرورة وجود جسم رسمي يركز على مواجهة الكراهية من خلال قنوات : الدين ، والقانون الدولي ، وخطط التعليم . واقترح أن يتم تشكيل وحدة خاصة في مجلس الأمن القومي ، مهمتها البحث بصورة منهجية بأساليب الدعاية العربية . وأن يتشكل جسم آخر في أجهزة الاستخبارات ، يهتم بجمع المعلومات حول الإعلام المعادي لدولة إسرائيل .

وعلى صعيد الحرب الإلكترونية ، بدأ الإسرائيليون منذ زمن بعيد بأعمال التجسس على الاتصالات ، وبالحضور بكثافة عبر المواقع الإلكترونية كموقع " إسرابيديا " (Israpedia) ، وموقع " فايس بوك " * (Facebook) . وبصدد استخدام الإنترنت في الحرب الناعمة . دعا القنصل الإسرائيلي لوسائل الإعلام والشؤون العامة في نيويورك إلى تشجيع انتهاج دبلوماسية جديدة لتعزيز صورة إسرائيل في أوساط مستخدمي الشبكة الإلكترونية ، إيمانا" منه بأن فكرة أن العالم ضد إسرائيل هي ببساطة ليست صحيحة !

- لمزيد من الاطلاع على مؤتمرات هرزليا أنظر موقع (Facebook) :

http://www.facebook.com/HerzliyaConference#

تجليات الحرب الناعمة ومسألة الممانعة

بعد أن عرض لمفهوم ومنطلقات الحرب الناعمة وآثارهما الخطيرة على البلدان العربية والإسلامية ، تتعدد التساؤلات حيال سبل وآليات الممانعة في ظل تأثيرات العولمة الثقافية . فهل يستحق ذلك انحيازا" إلى صف مقاومة الهيمنة الزاحفة ؟ وهل أن مجتمعاتنا بحاجة إلى تكوين رؤية موضوعية لمواجهة تحديات العصر الراهن لا تمارس قطيعة مع التاريخ والفعل التراثي ولا تهمل إيجابيات الحداثة وما بعد الحداثة في زمن كثيف التحولات ؟ أم أن الممانعة لا تعدو أن تكون هرطقة وادعاءات واهية لا قواعد لها للاشتغال نظرا" لتفاوت القدرات والمقومات التي تسمح بإعادة إنتاج فهم الصراع الدولي - الإقليمي انطلاقا" من آليات جديدة ؟ أو لأن الصراع قد حسمت نتائجه تاريخيا" لصالح الطرف الأقوى المهيمن ؟

يشكل القطاع الإعلامي المعولم تحديا" صارخا" لسياقات الممانعة . وقد سنح التطور التقني بنشوء معسكرات إعلامية مجهزة وعابرة لحدود الدولة القومية ، من خلال رواج قنوات البث الفضائي بخاصة ، الذي سيّد عصر الصورة ، وسرّع في نقل الحدث وتصدير القيم والرموز والأفكار . إذ نجحت الأقمار الصناعية في وضع العالم بأسره تحت المجهر ، واتخذت لما تعرضه استراتيجيات هجومية تستهدف الأمن الثقافي للمجتمعات المتلقية ، أي الثقافة الوطنية والقومية والدينية ومحيطها .

يطال الاستهداف المتمثل بالتجليات الإعلامية للحرب الناعمة قنوات التنشئة الاجتماعية في البلدان المستضعفة . وقد سمح الاستطلاع الغربي التاريخي للبلاد العربية أيضا" بتكوين ظروف مساعدة للهيمنة الثقافية وتفشيها . والاستهداف المقصود ، يطال أجهزة الممانعة لمؤسستي الأسرة والمدرسة ، كمؤسستين مفصليتين ، تشكلان حقل الإنتاج المكثف للسلوك والأذواق والقيم والعادات والتقاليد ، ما يضع المجتمعات المقصودة بالغزو أمام تحديات مصيرية تتطلب وسم أطر ناجعة للممانعة ، وبالتالي ، الحفاظ على ما سلم من خصوصيات لم تزل قائمة في ظل حالة العجز الذي تشهده البلدان العربية والإسلامية على صعد الاستعدادات الإستراتيجية ، السياسية والاقتصادية والإعلامية .

تعرض مفهوم الممانعة بشقيه : العلماني والإسلامي لانتقادات جمّة . وفي مدخل التعاطي مع مفهوم الممانعة ذاته ، تجدر الإشارة إلى وجود مسألة سجالية تحيط بسياقاته . حيث اعتبر بعض الباحثين ، أن التغني بالمفهوم المقصود ، قد تم تبنيه لكي يختزل المبادئ الحقوقية والمفاهيم السياسية في صورة " نعوت " ، الأمر الذي يحول

دون ولادة أي ثقافة نقدية تكون قادرة على الدفع قدما" ببناء مقومات ملموسة تواجه الهجمة الأمريكية – الغربية على البلدان العربية والإسلامية . وبرأي هؤلاء ، فإن ثقافة الممانعة قد دأبت على توظيف ما أمكن من مبادئ ومفاهيم في نعوت سلبية ، هدفها ، إما الامتداح والتضرع والابتهال ، وإما التجلي على نحو قذف وهجاء . وعلى نحو كهذا ، يتم اختزال مفردات " القانون الدولي " ، و" الدستور " ، و " الشرعية " ، و " الديمقراطية " و " الوفاق " في مجرد نعوت لا ترى في الممانعة إلا الممانعة نفسها . ولأجل ذلك ، برأيهم ، يسهل على ثقافة الممانعة أن تتوجه رأسا" لمسخ مبادئ لا صلة سند لها في القانون الدولي ، وردّها في نعوت ، بقصد تبجيل أو مجاملة أو أبلسة وتخوين ! لأن هذه الثقافة لا تعتمد الحجة والدليل ، بقدر ما تعتمد على المرويات ، ولا تمتلك حتى رؤية متناسقة لتاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي ، يمكنها أن تواجه بشكل حاسم وجدي الرواية الصهيونية أو الغربية لهذا الصراع(1) .

في المسار النظري ذاته ، تنطوي الممانعة برأي البعض على سلبية مفرطة . " فالسلبية في الجوهر انشغال مفرط بخطط الخصم أو العدو ، فضحا" وإدانة" ورفضا" ، يحول دون التخطيط للذات والانشغال بصلاح أمورها وأحوالها – ومن زاويتهم – يعرض عموم الممانعين العرب درجة متقدمة من الاستنفار النفسي والذهني والثقافي ضد أمريكا بخاصة ، والغرب بعامة ، فيسعدون لأية أزمة تصيبهم ، وينشغلون بجمع معلومات وبراهين على أنهم معادون لنا وللإنسانية وأنانيون ومنحطون " (2) . وهنا ، يتحول " الممانع " إلى شخص لا يكف عن الإحالة إلى الأمة ، كأنما الممانعة لا تعدو أن تكون شعور مختلط يخشى التحول إلى وعي وإدراك وتمييز ، وذلك ما حوّل الممانعة إلى ثقافة سلبية وتكوين نفسي سلبي ، يستعرض كره الأمريكيين والغرب ، بدلا" من العمل على تحويل وإصلاح الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والديني والقانوني في بلادنا . وتقر وجهة النظر التي نعرض لها بأن الممانعة أداء ثقافي ، بيد أنها العدو الأخطر للثقافة ، لأنها مدمرة للإبداع الفني والمعرفي ، ومستسلمة لعدائية تجعلها أسيرة قيم ضيقة ، قبلية أو دينية ، نظرا" لتكوينها العاطفي – الانفعالي ، الذي يجعلها ممتنعة عن البيان والصياغة المفهومية الواضحة . وعلى هذا الصعيد . تتحول الممانعة إلى عداء للغرب ، لأنها تجعل التعلم من الغرب صعبا" بل مستحيلا" ، كما وأنها سلبية وعقيمة عمليا" ، وتعمل على تأبيد الحاضر وتجميد الزمن ، وحيثما ارتفعت راية الممانعة ، نجد تحتها التدهور والاهتراء والبؤس والتبديد الهائل للموارد العامة وللحياة الإنسانية ،

---

(1) أنظر جريدة السفير اللبنانية ، مقالة بعنوان : " قانون النعوت " .
(2) ياسين الحاج صالح ، مجلة الحوار المتمدن – العدد 2454- 2009/11/3 .

وتخريب اللغة والثقافة والمحدودية ، بما يعني أ أن الممانعة هي مرض الروح العربية الذي يجعل منها عدوا" لنفسه . (1)

إن سياقات الفهم التي سبق ذكرها تستوجب إقرارا" ونقدا" في آن معا" . فما من عاقل متبصر يوافق على قبوع فعل الممانعة في خانة رفض خاوية لا هم لها سوى النعوت والشماتة وسائر الاستعراضات الأخلاقية الأبعاد ، أي تلك الأدوات التي لا تصلح كسلاح رمزي في المواجهة . والنقد الصريح الذي نفترض أنه مستوجب لأصحاب فكرة دحض حالة الممانعة ، فيقع في مخالفة أهمية عدم فضح ما يخطط للبلدان العربية والإسلامية من استراتيجيات هدفها استتباع هذه البلدان والهيمنة على شعوبها انطلاقا" من أبعاد أيديولوجية استعمارية . كالإيحاء المبطن ، بأن الغرب لا يحمل سوى مشاعر المودّة والمؤازرة للشعوب المستبد لها . فما هو هام على مستوى الممانعة ،لا يقع في نقد تجلياتها غير الفاعلة ، بقدر ما يقع في كشف منعرجاتها البائسة ، وإحياء ثقافة وطنية حيالها ، تشكل نتاجا" جمعيا" ، يتغير ويتناسب مع معطيات العصر ومتطلباته ، ويعترف بالتنوع الثقافي ، وبشرعية الاختلاف من أجل ترشيد وتحقيق تنمية ثقافية ذات بعد تغييري ،ولا يستند إلى عامل التبرير فحسب ، بل إلى عامل مشاركة الأجيال الشابة ، وبالتالي ، إلى عصرنة حقيقية تعيد بناء الموروث الثقافي ، ولا تقود إلى الاستلاب الحضاري . فالعالم اليوم ، لا يحتضن ثقافة عالمية واحدة ، وليس من المحتمل أن توجد يوم من الأيام ، وستوجد ثقافات متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية ، أو بتدخل إرادي للحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة . من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش ، ومنها ما يسعى إلى الانتشار ، ومنها ما ينعزل حينا" وينتشر حينا" آخر (2) .

في معرض الإشارة للنظرة المتسرعة لأهمية الممانعة الثقافية ، تجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين مفهومي الثقافة والتثاقف ، كمفهومين سابقين لولادة العولمة ، وبين العولمة ببعدها الثقافي الهادف . لأن العولمة كما يعتبرها المفكر المغربي الراحل " محمد عابد الجابري " ، تشكل أيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمركته ، لأنها تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا" معينا" ، هو الولايات المتحدة الأمريكية ، بالذات ، على العالم اجمع . من هنا ، فإن الفرق بين الثقافة والانتشار الثقافي واستراتيجيات العولمة ، أن الأخيرة تنحو باتجاه القضاء على الخصوصية الثقافية بشكل عام ، وتتدخل في صنع الأذواق ومناحي التفكير من خلال إمبراطورية وسائل الاتصال القادرة على إحداث هذه الخروق الكبرى . لذا فإن الأخذ

---

(1) المصدر ذاته .

(2) أحمد صدقي الدجاني ، (الثقافة العربية والإسلامية وتحديات العولمة) مجلة الكلمة ، بيروت ، السنة الخامسة ، العدد 18 ، 1998 ، ص. 143 .

بإيجابيات العولمة يفترض عدم غض الطرف عن كونها نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ، ويدفع للتفتيت والتشتيت ، ليربط الناس بحالة لا إنتمائية بصورة ما .

انطلاقا" من وجهتي النظر التي عرض لهما حول منهج الممانعة وغاياته ، تتحول الممانعة كفعل ، إلى ضرورة ثقافية تقع ما بين الرفض والانغلاق ، و بين القبول التام بتدخلات العولمة . أما الضرورة التي تكسر القيد وتطلق الثقافة العربية والإسلامية لمقاومة الغزو والاختراق فإنها ممكنة الحدوث ، وتتطلب اكتساب الأسس والأدوات التي تدخل المجتمعات المستهدفة في عصر العلم والثقافة والعقلانية والديمقراطية . وبصدد الإستراتيجيات الفاعلة ، أو المرشحة للصمود بوجه العولمة الزاحفة ، يطرح الباحث العربي" عبد الإله بلقزيز" جملة من التساؤلات حول أدوار قنوات التنشئة القاعدية ، الأسرة والمدرسة ، ويرى أن الإعياء قد دب في أدائهما ، ونال من وظائفهما التربوية والتكوينية ، ومن قدرتهما على الاستمرار في ممارسة أدوارهما التقليدية الفعالة في إنتاج أو إعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية ، إذ يتجلى الوهن برأيه في إخفاق النظام التعليمي ، وتفكك بنى الأسرة وانهيار نظام القيم ، واعتبر أن هذه القنوات قد وقعت في ساحة مرمى العولمة الثقافية التي وصفها بثقافة الصورة ، أو ثقافة ما بعد المكتوب .

في نطاق المواجهة ، دعا " بلقزيز " إلى التعاطي مع مفهوم الممانعة بطريقة مثمرة . وعلّق أهمية بالغة على وظيفة الممانعة الثقافية ، عن طريق استعمال الأدوات عينها التي تحققت بها الجراحة الثقافية للعولمة ، وإلى الاستفادة من نظريات علم الاجتماع الثقافي التي تؤكد على أن فعل العدوان الثقافي غالبا" ما يستنهض نقيضه (1) . ويتفق " بلقزيز " بطرحه مع " سيار الجميل " ، الذي يشير إلى أن مواجهة العولمة تتطلب الاهتمام بقطاعي التربية والتعليم عبر صيانة الذاكرة الأدبية والذاكرة التاريخية (2) ، والاستفادة من التقنية المعاصرة كونها موروث عالمي . ففي مواجهة العولمة ، يرى " سيار الجميل " * ، أن معاناة البلاد العربية قد بدأت لدى الاحتكاك بالحضارة الغربية ، ولذلك فالدعوة إلى المحافظة على الخصوصية في عصر العولمة ، لن تتحقق برأيه إلا بالاهتمام بمعالجة الحقول المعرفية وإحداث الإصلاحات والتغيرات المطلوبة من وجهة شمولية . ويعتبر أيضا" ، أننا لا نستطيع وقف الهجمة الإعلامية الغربية ، لكن باستطاعتنا الحد من تأثيراتها السلبية ، عن طريق إيجاد قنوات فضائية ، عربية وإسلامية ، نشيع من خلالها أدبياتنا وأفكارنا في

---

(1) المصدر السابق ، ص 143 .
(2) المصدر ذاته ، ص 147 .
* " د. سيار الجميل ، أستاذ مادة التاريخ الحديث في جامعة آل البيت ، (الأردن) وصاحب كتاب (العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط : مفاهيم عصر قادم ، 1997) .

في العالم الأوسع . وقد دعا إلى الانفتاح والتكتل الاقتصادي ، وتأسيس كتلة عربية – إسلامية تساعد حركة الثقافة ، كما ، وحذر من طغيان ثقافة الآخر ، التي قد توسع فجوة الاستتباع الاقتصادي والسياسي لأمريكا والغرب .

خلاصة

في ضوء الحاجة إلى ممانعة فاعلة تواجه أشكال الاستهداف الذي تتعرض له البلدان العربية والإسلامية من خلال قوى وقنوات الحرب الناعمة . وفي ضوء خطورة ما يجري تصميمه في أروقة الغرف السوداء ، من فتن ، وصراعات داخلية ، دينية وإثنية . لا بد من الإقرار بحالة الانكشاف التي تعاني منها البلدان العربية والإسلامية على الأصعدة المختلفة . فبلداننا تستورد منتجات الغرب الصالحة والطالحة ، وتتلقى تصاميم ومجسمات صور الحياة القادمة ، عبر قنوات البث الفضائي المختلفة والغزو الإعلامي المتعدد الجنسية . حتى ، وأن شعوبنا قد أضحت تستلهم من الصفحات الإلكترونية أذواقها ورؤيتها للتغير الاجتماعي ، نتيجة تراجع مواقع الثقافة الداخلية وعجزها عن إنتاج الحس النقدي السليم ، ما يستدعي إحداث تحولات بنيوية في عقول النخب المثقفة ، لكي تلعب دورا" رائدا" في كشف حجم وأوجه الاستهداف . أي وعي طبيعة المخاطر والوافدة ، وترجمته بأفعال منظورة ، تنقل المشاهد الإدراكية والمعرفية إلى أذهان الشرائح الاجتماعية المتنوعة بطرق وأساليب سهلة الفهم . لأن حقل الاستهداف الأساس للحرب الناعمة هو العقل الجمعي ، والحس المشترك ، وذلك ما يتطلب بالتالي ، عملا" نضاليا" من قبل الأجهزة الثقافية والإعلامية لتحقيق عصرنة وتحديث داخليين . لأن مواجهة الحرب الناعمة كنتاج عولمي – أمريكي ، قد تكون عملية صعبة المنال في ضوء حالة المرواحة الحالية للعقل العربي والإسلامي .

وفي ساحة مواجهة الفوضى المنظمة ، لا بد من ولادة ممانعة منظمة . تبدأ بتحديث أطر التنشئة الاجتماعية ، وتحفيز مؤسسة الأسرة على الاهتمام بالحقول الثقافية والعلمية والمعرفية ، وإحياء إيجابيات التراث في أذهان الناشئة . والقصد ، أن هنالك حاجة ماسة لبناء استراتيجيات في حقول مختلفة ، تعيد إنتاج الأدوار الاجتماعية والتربوية والثقافية لمؤسسات التربية والتعليم . فالمدرسة ، كقناة ، في التنشئة القاعدية ، وبالرغم من اعتماد مناهج مستحدثة في التعليم ، لم تزل تلقينية الطابع ، وغير محفزة على الإبداع ، ولا تمارس الدور التثقيفي الخلاق ، كما أنها منكفئة في مجال الحفاظ على التراث وإحياء الثقافة الشعبية .

ما ينطبق على مؤسستي الأسرة والمدرسة ، ينطبق على مؤسسة الجامعة ووظيفتها . فالجامعات العربية بغالبها ، لم تستطع تحقيق نتائج إبداعية واعدة . سواء في الحقول البحثية والمعرفية ، أو في حيز بناء وترميم الذات الثقافية . والخاصة منها ، مروجة في كثير من الأحيان للثقافة الغربية بمنحى لا إنتقائي . في حين ، أن

الجامعات الوطنية ، لم تزل قابعة في أروقة الرتابة ، وهي ، إن تميز بعضها حينا" ، لا تعكس إلاّ واقع حال النظم السياسية التي أنتجتها ، ما يسهم في تعويق القدرات الأكاديمية في مواجهة القوة الناعمة . وعندما تتراجع مستويات الوعي ، يسهل الاستهداف ، وتغيب حالة النهضة عن لعب دورها ، وتتكفئ الإصلاحات الضرورية لصالح المكاسب الذاتية .

تمارس الحرب الناعمة أيضا" قصفا" ناعما" للعقول ، وتجد في فساد الحكمية معبرا" صالحا" لها . وفساد الحكمية بالتالي ، ينعكس فسادا" اقتصاديا" وإداريا" وتشريعيا" ، الأمر الذي يعيق بناء حالة من الثقة بين الشعوب ونظمها السياسية ، وبالتالي ، يجعلها فريسة سهلة للغزو الثقافي ، الذي يتباهى بديمقراطيته في بلاد المنشأ ، ويستخدم مفاعيل الغزو الرقيق بسلوك خادع . ويشكل حال النظم السياسية العربية كابحا" يمنع تبني منطلقات تغيرية تؤمن بالمشاركة الشعبية ، نتيجة مشاعر ضمنية لدى معظم الحكام العرب – وقد تكون صائبة – تفترض أن أية إصلاحات محتملة ، قد تطيح بشرعية وجودهم عاجلا" أم آجلا" .

أما على مستوى القطاع الإعلامي ، ومقابل التفوق التقني الذي تستثمره العولمة في هجماتها المنظمة ، ينخفض منسوب الآداب والأفكار والفنون ، ويتراجع الحس النقدي لدى معظم الناس لصالح الحس الاستهلاكي . وفي فناء الدفاع الإعلامي ، تضعف الفضائيات العربية والإسلامية في صوغ مضامين تنتج حالة يقظة حيال التحديات الكبرى . ذلك ، نظرا" لطبيعة تبعيتها لنظم سياسية لا ترى ضرورة في قيام أي إعلام ثوري – طليعي ، إذ نادرا" ما يلاحظ إحيائها للمشاعر القومية والتضامن العربي والإسلامي بوجه العدو الإسرائيلي ، كما وأنها لا تساهم في الدعوة إلى تغيير الواقع السياسي العربي إلا لماما" . ففي الآونة الأخيرة ، حاولت بعض الفضائيات العربية أن تكون أكثر التصاقا" بهموم الشارع العربي ، فتم صدها عندما بدأت تشكل خطرا" على مصالح بعض الحكام العرب ، الذين تربطهم صلات ود تاريخية بالسياسة الأمريكية . ولعل تجربة قناة " الجزيرة " خير مثال " على حال الفضائيات العربية في الفترة التاريخية التي سقط فيها حكم الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك . وفي زمن التحولات هذه ، تعرضت أقنية أخرى ، كقناتي الجديد والمنار ، لموجات تشويش منظمة عطلت بثها في بلدان عدّة ، ما يوضح مشهد عجز بلداننا عن مواجهة الحرب الناعمة من الناحية التقنية . بمعنى ، أن الفضائيات العربية خاضعة للتحكم عن بعد ، وقابلة للضبط والكبح ، عندما تشكل خطرا" مباشرا" يعيق مصالح الغازي ومخططاته المتبناة في حقل النزاع .

الحرب الناعمة تستهدف وحدتنا الثقافية أولا" ، وتقف وراء معظم الانقسامات الداخلية والفتن والقلاقل المذهبية ، ما يجعل الأمر يستحق الإعداد ، فأين نحن اليوم من الإعداد المرتجى والحس الوطني السليم ؟